

[2 / 3]

را وشاتيلاً حتى رحلة أمين الجميل إلى دمشق

شارون: أنقذ المسيحيين!

تاريخ الحرب اللبنانية من خارجها

ويأتي هذا المجلد الثاني والأخير من «أسرار حرب لبنان»، ليستكمل ما بدأه المؤلف قبل ثماني سنوات، من خلال استعادة سردية للأحداث والوقائع، في نص مرجعي يشكل مدخلاً مهماً لفهم معطيات أساسية في المرحلة الراهنة. مستفيداً من كنوز الأرشيف التي أتت له الوصول إليها، وتتعلق بمختلف الأطراف المعنية، يروي ميناخ المقلب الآخر من المشهد السائد. صدر «أسرار حرب لبنان (2)» عن «المكتبة الدولية» في بيروت، بالفرنسية لغته الأصلية، ومرتجماً إلى العربية. كذلك أعيد إصدار طبعة جديدة باللغتين من الجزء الأول، وكان عنوانه الفرعي «من انقلاب بشير الجميل إلى حرب المخيمات». ويوقع الآن ميناخ كل هذه المجلدات في مقر المكتبة في بيروت، مبنى الجيفينور (القسم D)، وذلك مساء الجمعة 28 الجاري ابتداءً من السادسة مساءً.

قبل كتاب آلان ميناخ، لم تظهر أي محاولة جدية على هذا القدر من التوثيق، لرواية الأيام المظلمة التي عاشها لبنان، بين أيلول 1982، وشباط 1984، أي بين المجازر التي ارتكبتها جيش الاحتلال الإسرائيلي بمساعدة ميليشيات القوات اللبنانية في المخيمات الفلسطينية في بيروت، وقيام الرئيس أمين الجميل بأول زيارة رسمية لدمشق، طويلاً لفترة صفحة رهان بعض اللبنانيين على إسرائيل.

يروى المؤلف بدقة الصراعات حول السلطة في الداخل اللبناني، وتراجع النفوذ الإسرائيلي في بلاد الأرز، ودور الدول العربية، وتردد المجتمع الدولي. كذلك يتناول ميناخ شخصيات أساسية، أدت دوراً حاسماً خلال تلك المرحلة، وما زال بعضها في موقعه اليوم، مع ما طبع سلوكها وعلاقاتها آنذاك من طموحات، وضربات دنية، وأكاذيب، وتلاعبات.

سعيد (هاثي)، كريم بقرادوني، نازار ناجاريان (نازو)، الأفراد ماضي، بطرس خوند (بيدرو)، سمير جعجج (الحكيم)، مسعود الأشقر (يوسي)، روجيه ديب، إيلي الزايك، إيلي حبيقة (H.K)، أسعد شفتري (أسو).

وقد أكد أفرام بصورة قاطعة: مشكلة بيروت الشرقية واضحة بالنسبة إلي، فما من أحد يطلب انتشار الجيش في منطقتنا كما يزعم الشيخ أمين. لا على الصعيد الدولي ولا على الصعيد المحلي. إنه يريد فقط أن يضيف هذه العملية إلى رصيده الشخصي. لو كان من شأن هذا الإجراء أن يساعده حقاً، أو أن يكون نافعاً للمسيحيين لوافقته عليه. لكن ينبغي أن نعرف أن نشر الجيش في الأشرية يعني اجتثاث جزء كبير من قدرتنا على التحرك، ولا أستطيع القبول بذلك، أخذاً في الاعتبار انعكاس النتائج على المسيحيين.

وأضاف إيلي حبيقة قائلاً: - إنني أعارض انتشار الجيش، فهو من ناحية سينتشر بكل قوته ووسائله، وسوف يستحيل عليه فعل ذلك في مكان آخر، ومن ناحية أخرى فإن سبعين في المئة من عناصره معارضة لنا.

وسأل أنطوان نجم: - وإذا ألح أمين الجميل؟ فطمأنه أفرام قائلاً: - لن يكون هنالك انتشار بالقوة في بيروت الشرقية.

فقال كريم بقرادوني: - أنا أيضاً أعارض ذلك، إن أمين يتصرف على الدوام على خلفية خلافاته مع بشير، وهو يعمل الآن على تصفية حساباته. لا يتصرف بوصفه رئيساً مسؤولاً عن دولة وعن الشعب المسيحي. ولا طائل وراء مناقشة هذه المسألة بعمق معه. علينا النزوع بالصبر وكسب الوقت. فإنا أتوقع أن يمارس ضغوطاً مختلفة لمحاولة تفتيتنا. وهنا تدخل إيلي الزايك، وكان أحد المقربين من الرئيس أمين الجميل: - أسف لكون كريم يظلم الشيخ أمين، فإنا مقتنع بأن لديه مخططاً.

هكذا قرّر المجتمعون أن يرفضوا الطلب الرئاسي، وأن يحاولوا استمالة بيار الجميل وحزب الكتائب إلى موقفهم. ثم مضى كل منهم ليحتفل برأس السنة مع رجاله.

في هذا اليوم الأخير من عام 1982 كانت عملية «سلام الجليل» قد كلفت الجيش الإسرائيلي 368 قتيلًا و2383 جريحاً، فيما تكلفت إسرائيل 3 مليارات دولار في حربها على لبنان.

(...) ويرمي هذا المخطط إلى تدعيم السلطة المركزية انطلاقاً من العاصمة لكي ينتشر في ما بعد انتشاراً تدريجياً في مختلف الأراضي اللبنانية. وسوف تكون مهمته الحفاظ على الأمن، طرق المواصلات بين المدن، وجمع الأسلحة الفردية الخفيفة. أما الأسلحة الثقيلة والمظاهر المسلحة، فينبغي أن تختفي وتنسحب خارج حدود «بيروت الكبرى». وهذا المشروع ينبغي أن يتبناه المكتب السياسي لحزب الكتائب يوم 31/1/1983 المقبل.

كان التقرير يقدر أيضاً النتائج المترتبة، على المدى القصير والمتوسط، على نشر الجيش في بيروت الشرقية:

«سوف تغدو القوات اللبنانية منذ ذلك الحين محرومة رعتها الأساسية على الرغم من الإبقاء على المجلس العسكري في الكرتينا».

1. على الصعيد المالي: إلغاء الأرباح الصادرة عن الحوض الخامس في ميناء بيروت الواقع ضمن الانتشار. ثم لاحقاً شطب الضرائب التي تجنى من بيروت وضاحتها، وهي تمثل ثلاثة أرباع المصادر، نظراً إلى الكثافة السكانية والأعمال التجارية والمكاتب والصناعات والمؤسسات من الأصناف كافة.

- إذا ما تناقصت الموارد المالية، فإن المناطق الأخرى من نهر الكلب إلى جسر المدفون سوف تخضع لفرض ضرائب إضافية، ما سيؤدي إلى تدمير السكان، إذا لم يجر التقليل من الأجر بالنسبة ذاتها. وبالتالي التقليل إلى حد كبير من كتلة القوى المقاتلة التي يجب الحفاظ عليها.

- إذا جرى تقليص حجم القوات اللبنانية، فلن تعود موضع صدقية ولن تبقى قوة رادعة على الأرض، إضافة إلى التدمير الذي ستضاعفه خيبة أمل العناصر.

2. إن القوات اللبنانية، بانسلاخها عن الشوف وجرمانها الخصوم، سوف تفقد الشرعية التي تراكمت وخرجت بها من الحرب الأهلية في عامي 1975 - 1976، ومن المواجهات ضد قوى الاحتلال السورية.

3. إن استحالة التواصل على الصعيد العسكري بين مناطق كسروان ومنطقتي عاليه والشوف، سوف تقلل إلى حد كبير قدرتنا على المناورة، سياسياً وعسكرياً.

بعد ظهر اليوم التالي، وهو يوم عيد رأس السنة، استدعى القائد العام لـ«القوات» قادة الميليشيا كافة. فكانوا جميعاً حاضرين في الساعة المحددة: فادي أفرام، أنطوان بريدي (توتو)، إيلي وزان (عباس)، أنطون نجم (نبتون)، أسعد

اللذين كان يشغلها سلفه بشير. أنا منزعج بسبب تعطيل السلطة الناجم عن مشكلة انتشار الجيش في بيروت الكبرى، وأنتم تعرفون مشاعري، فإنا مرتبط بكم، كحزب وكقوات لبنانية، على المستوى الأخلاقي وبحكم أخوة السلاح.

فرد فؤاد أبو ناصر مستغرباً: - قبل لي إن هذا الاجتماع سوف يتناول صعود الجيش إلى الشوف وعاليه، وأنا مندهش جداً، إذ نتعرض لموضوع بيروت الشرقية.

فرد الجميل قائلاً بجفاء: - لن يذهب الجيش إلى الجبل، قبل دخوله إلى بيروت. فالأمر يتعلق بطلب دولي لا بطلب محلي فقط.

هنا تدخل بطرس خوند بعد أن تنجح: - يا شيخ أمين، طلبنا إليك مراراً وبإلحاح أن تتبنانا وتكون قائداً العسكري، وأن تفعل ما تعتبره ضرورياً. أصدر أمراً أدخل إلى المنطقة الشرقية: في المقابل نريد ذخائر وطريقاً إلى الشوف وضمانات. وبوصفنا مقاومة مسيحية فأنت زعيمنا...

فقاطعه أمين بصوت قوي: - أنا لست ضعيفاً؛ وأنا قادر تماماً على اتخاذ قرار!

وإضافة إلى ذلك أعتبر نفسي قائدكم العسكري. أنا رئيس الجمهورية وأستطيع أن أعلن نفسي زعيماً للكتائب.

فقال أبو ناصر: - سيطرد المسيحيون من الجبل ما لم ينتشر فيه الجيش.

وقال الرئيس مؤكداً: - لدي مخطط للجبل. وسوف تصعد في ما بعد وحدات خاصة إلى الشوف وعاليه.

فرد قائد هيئة أركان القوات اللبنانية بحذر: - سوف ندرس ذلك.

وعلق خوند مستدركاً كلامه الذي لم يفهم جيداً: - أنا لن أعارض ذلك. استخدم القوات اللبنانية غطاءً بالطريقة التي تريد. أنا، قائد مجلس أمن الكتائب، أقول لك: أصدر الأوامر التي تبدو لك ضرورية.

انتهى النقاش بموعده شكلي ضربه أبو ناصر وطنوس لدراسة التبعات المترتبة على اقتراحات الرئيس.

وسط هذا الارتباك، شعر فؤاد أبو ناصر بأنه وقع في الفخ. ها هي القوات اللبنانية التي أعيدت إلى حجم ميليشيا حزبية، وإن كان ذلك الحزب هو الكتائب، قد بلغت رسمياً، وبمباركة خوند، بأن الجيش سينتشر في المنطقة المسيحية.

لدى وصول فادي أفرام إلى مكتبه، وجد على طاولته تقريراً شاملاً مقدماً من جهاز الاستخبارات في القوات اللبنانية، تحت عبارة «سري جداً»، ويتعلق ببيروت الكبرى:

«لقد أنصبت دراسات مخطط الانتشار كلها على وحدة من الجيش اللبناني: إنها الكتيبة الثامنة المجهزة بوحدة من القوة العسكرية الفرنسية

نحن لسنا بالهبة. هنالك شموعون وبيار الجميل والإباتي بولس نعمان. فليأخذ كل واحد نصيبه من العبد. وسيؤدي ذلك إلى كارثة لأن الشيخ أمين سيرتمي في أحضان المسلمين والفلسطينيين والسوريين.

ثم استدار صوب شارون ليضيف: - كنا مخفّف الصدمة بينكم وبين أمين. لكن هذا العازل انكسر. فالقرار السياسي اليوم بين يدي أمين، وإذا ما خسّر فادي المعركة في الجبل... فلست أدري... قد يكون ذلك ما يتمناه أمين...

قال مندي على عجل: - لم تضع الفرصة بعد. وعليكم الاستمرار مع داغان. إن تكن لديكم مطالب محددة فأعطونا إياها لنتمكن من دراستها. سنواصل عمليات التدريب لكي يفهم اللبنانيون أننا معكم. الدروز يعرفون من ناحيتهم تمام المعرفة أن الأسلحة تأتي من هنا.

هذا الكلام غير دقيق، فنحن نشترها الآن من البرتغال.

في لحظة الانصراف، طلب فادي أفرام الاجتماع على انفراد بوزير الدفاع الإسرائيلي، فأنزل الرجلان في زاوية من الصالون.

قال قائد القوات اللبنانية معاتباً: - أنتم تضعوننا مع أمين في السلة ذاتها. نحن نتعهد تحقيق مشروع بشير. لقد وقّعتم اتفاقية مع أمين، وهذا حسن جداً، لكن ما الذي سيحصل إن وجدتم أنفسكم في طريق مسدود، ما قد يؤدي إلى صراع؟ لقد وقع خيارنا عليكم أنتم لا على أمين. فأنتم ضمانات المسيحيين، وإذا كان لديكم محطات محددة للمستقبل، فنحن نتمنى أن تكون جزءاً منها.

فسأله شارون: - والشيخ بيار؟

تساوره على الصعيد المسيحي مخاوفنا نفسها. لقد قال إنكم ضمانتنا، ولا تنسوا أن رئيس الجمهورية ابنه. وسنكون معكم حين نحين الساعة.

في المساء ذاته، وفيما كانت ريح وزخات من المطر تهزّ المروحية الإسرائيلية التي حملت اللبنانيين الثلاثة، وهي لا تزال على ربع ساعة من الزوق، كان فؤاد أبو ناصر رئيس قيادة القوات اللبنانية يدخل البهو الكبير للقصر الرئاسي. فقد طلب إليه خاله، أمين الجميل، أن يحضر اجتماعاً يضم من حوله كلاً من الجنرال إبراهيم طنوس وبيترس خوند (بيدرو) رئيس مجلس الأمن في حزب الكتائب.

كان خوند الموظف السابق في مصرف «كريدية ليونيه» رجلاً أربعينياً قصير القامة، أجدع الشعر، وجهه مدموغ كوجه مغامر مقدم.

وكان، وهو الكتائبي القديم، مطلق الوفاء لبيار الجميل، وبالتالي لابنه أمين. وقد ورث منصبه في «القوات» عن بشير الجميل في 13 أيلول/سبتمبر 1982، يوم انتخب فادي أفرام قائداً عاماً للقوات اللبنانية، ولم يشأ الجمع بين المنصبين

